بكذا اذا ادركنا المأمول وكذلك اكثر ما تستعمل الفرح في اللذات البدنية والدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات وفي
الاية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم من المواعظ وشفا لما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون
النفس اليه هو خير مما يجمعون اي يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب
المفسرين فيه فقال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري
فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران
ورحمته السنن فعلى هذا الباء في بفضل الله تتعلق بمحذوف تفسيره ما بعده قل فليفرحوا بفضل الله ورحمته قل اي
قل لهم يا محمد لكفار مكة ارايتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع مما في الارض بالانزال لان جميع ما في الارض
من رزق وخير فانما هو من بركات السما فجعلتم منه يعني من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما حرموه على انفسهم
في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام قال الضحاك هو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث
والانعام نصيبا قل اي قل لهم يا محمد الله اذن لكم يعني الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني انتم
على الله تكذبون في ادعايكم ان الله امرنا بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اذ القوه
يوم القيامة ايحسبون انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد
العظيم لمن يفتري على الله الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان الحلال
والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان قوله عز وجل وما تكون في شان وما
تتلوا منه من قران الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال
الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشيون تقول العرب ما شان فلان اي ما حاله والشان
اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يكون المراد به الاسم فان
ابن عباس قال معناه وما يكون يا محمد في شان تريد من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوايجكم
ويجوز ان يكون المراد منه القصد حين قصد الشي وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى
ماذا يعود فقيل الى الشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم شانه
فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى
القران لانه تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا المعنى يكون وما تتلوا من القران يعني من سورة وشي
منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى والمعنى وما تتلوا من الله
من قران نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومرادون
به لان من المعلوم انه اذا خوطب رييس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من
عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين لاعمالكم وذلك
لان الله تعالى شاهد على كل شي وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود
من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه قوله تعالى اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى
شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط
فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال
الزجاج او تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما
يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه فلان عازب
اذا كان بعيد الطلب من مثقال ذرة يعني وزن مثقال ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمرا وهي

صغيرة

صغيرة الوزن جدا في الارض ولا في السما فان قلت قد قدم ذكر الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض في
سورة سبا فما فايدة ذلك قلت كان حق السما ان تتقدم على الارض كما في سورة سبا الا انه تعالى ذكر في هذه الاية
شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في هذا الموضع
لهذه الفايدة ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اوليا
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول
اختلف العلما فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكرون الله لرويتهم وروى الطبري بسنده عن
سعيد بن جبير قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوليا الله فقال هم الذين اذا راوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين
امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله ناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة
بمكانهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان
وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرا هذه الاية الا ان اوليا الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم
القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهدا اخرجه الترمذي وروى البغوي
بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون
والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله
عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبايل شتى لم يكن
بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لولو قدام
الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان
اوليايي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان اوليايي من عبادي الذين يذكرون بذكري ان من عباد الله عبادا يغبطهم
الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر
من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبط نوع
من الحسد الا ان الحسد نوع من الغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى ما على المحسود من النعمة
ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه قال ابو بكر الاصم اوليا الله هم
الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولا وهو القرب والنصرة فولي الله
هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله تعالى فان راى راى
دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقربه
الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة اوليا الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه
قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا
بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان مبني
على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد ما نهى الله عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذا خاف
غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم

Copyright @ King Saud University